

لم تحظ الأساليب في اللغة العربية بعناية أكثر مما حظيت به لدى البلاغيين لما لها من علاقة وطيدة بالمقام و أحوال المخاطب ، فضلا على أنَّها تعتمد في أدائها على المعاني التي يقصد إليها المتكلم ، هذه المعاني التي كان لها حظها في مؤلفات البلاغيين خصوصا ما سمي بـ "علم المعاني" الأمر الذي جعل أحد المحدثين يقول:

"إن علماء المعاني هم النحاة الحقيقيون"¹ ذلك أنهم عادوا دراسة الجملة إلى مكانها الطبيعي بربطها بمقتضي الحال و أحوال المخاطب ، الأمر الذي ابتعد عنه النحاة في سياق اهتمامهم بالعامل النحوي و ما تقتضيه صناعة الإعراب ، و الملاحظ أيضا عند البلاغيين أنَّه لم تجمع أشكال التوكيد في مبحث واحد بل كلَّما ارتبط الحديث بمعني التوكيد أو بمقام توكيد ، أشبعه البلاغيون بحثا ، و هو الأمر الذي ستستفيد منه البحوث الحالية و المعاصرة ، باستخدامها للتراث البلاغي كمصدر للبحث اللغوي و كعنصر أساسي في الكلام .

لقد كانت المعاني ضالة البلاغيين على خلاف النحاة في الأغلب الأعم من بحوثهم ، و لذلك زخرت كتب البلاغة بالأساليب و مقتضياتها و أوجه تأديتها دون تغليب جانبها الشكلي ، هكذا فإن أسلوب التوكيد لقي عناية خاصة في البحث البلاغي كما له من صلة وطيدة بمقتضي الحال .

¹ - دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم رسالة دكتوراه ، (عائشة عبيزة)

و حال المخاطبين و السامعين و أيضا الخبر في حدّ ذاته ، إذا قد يكون مما لا يمكن تصديقه و نحوه ، مما يدخل في علاقة المخاطب بالسامع من جهة و بعلاقته بالرسالة الإبلابية من جهة أخرى .

و لكي نتمكن من الإحاطة بما تركه البلاغيون في هذا المجال سنعرض فيما يلي لأهم المباحث التي خُصّ بها أسلوب التوكيد لدى البلاغيين ، و التي جاءت في قضايا متعددة من خلالها يمكننا رسم المخطط العام لهذا الأسلوب في الدرس البلاغي .

1. الإسناد الخبري:

أول ما يتحدث عنه البلاغيون في الإسناد هو اعتبار الفائدة فيه و حاجة السامع بقدر ما يجهله أو يشك في وقوعه أو ينكره ذلك أن " قصد المخبر بخره إفادة المخاطب: إمّا الحكم أو كونه عالما به و يسمى الأول فائدة الخبر و الثاني لازمها و قد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم فينبغي أن يقتصر من التراكيب على الحاجة ، و من ثمة قد قسموا الخبر إلى ثلاثة أقسام¹:

• **الابتدائي:** إن كان خالي الذهن من الحكم و التردد فيه ، استغني عن مؤكدات الحكم.

• **الطلبية:** إن كان مترددا فيه طالبا له ، حسن تقويته بمؤكد.

¹ - مواهب الفتاح، 1/19-20.

• الإنكاري : أن كان منكرا و جب توكيده بحسب الإنكار .

كما قال الله تعالى: "إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ". و قوله تعالى: "إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"¹.

فذكر التوكيد هنا جاء ملازما لحال المخاطب وذلك أن غاية المتكلم تبليغ السامع بالخبر ، و لا يأتي ذلك إلا إذا وصل إليه دون شائبة شك أو إنكار ، كما أنه إذا كان السامع خالي الذهن فإن مما يشوش عليه إتيان المتكلم بالمؤكدات و هذا مما يتنافى مع الاقتصاد في استخدام اللغة .

2. التقديم و التأخير:

لعلّ أهم ما قدم من دراسات حول التقديم في الجملة العربية في الدرس الحديث اعتمد على ما خلفه البلاغيون باعتبارهم أكثر من اعتنى بهذه الظاهرة اللغوية التي لها فضل تعليق بالمعني و ذلك عند تقسيم التقديم إلى:

* تقديم لا على نية التأخير: و فيه تتغير وظيفة العنصر بتغيير ترتيبه

و ذلك أن تنتقل الشيء من حكم إلى حكم و تجعل له بابا غير بابه
و إعرابا غير إعرابه و ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد
منهما أن يكون مبتدأ ، و يكون الآخر خبرا له ، فتقدم تارة هذا على
ذاك و أخرى ذاك على هذا² نحو: زيد المنطلق-المنطلق زيد

¹- يس ، الآية 06-08.

²- الجرجاني دلائل الإعجاز ، ص 83.

* تقديم على نية التأخير : و هو بقاء العنصر اللغوي على وظيفته

الأولى مع تقديمه لغرض أسلوبى ، و يكون ذلك في كل شيء

أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه و في جنسه الذي

كان فيه ، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، و المفعول إذا قدمته

على الفاعل كقولك: منطلق زيد ، و ضرب عمر زيداً . معلوم أن:

منطلق و عمر لم يخرجاً بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ

و مرفوعاً بذلك و كون ذلك مفعولاً و منصوباً من أجله، كما يكون إذا

أخرت¹.

و هذا القسم هو ماله صلة بأسلوب التوكيد ، فغالبا ما يلجأ المتكلم إلى

استخدام التقديم في كلامه طالبا للتخصيص و التوكيد².

نحو قولك: زيداً عرفته، التي تعدّ تأكيداً إن قدر الفعل المحذوف (المفسر) بالفعل

المذكور (قبل المنصوب) ، أي عرفت زيداً عرفته (و إلا فتخصيص) أي زيدا عرفت

عرفته أو الرجوع في التعيين إلى القرائن و عند قيام القرينة على أنه للتخصيص يكون أكد

من قولنا: "زيداً عرفت" لما فيه من تكرار³ .

¹ - نفس المرجع السابق، 83 - 84.

² - الجرجاني دلائل الإعجاز، ص104.

³ - سعد الدين التفازاني، مختصر السعد (شرح مفتاح العلوم)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان،

ط1/2003، ص156.

و يذهب الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى أن الفعل المنفي يقتضي ما اقتضاه في مثبت و ذلك أنك إذا قلت: "أنت لا تحسن هذا" كان أشدّ لنفي إحسان ذلك الشيء عنه من قولك: لا تحسن هذا ، و مُدّلا على ذلك بأن الوجه الأول يكون في الكلام مع من هو أشدّ إعجابا بنفسه و أعرض دعوى في أنه يحسن ذلك الشيء فتقابل بهما الضرب الذي هو أشدّ للنفي و أوكد له.

و نجد القزويني قد فسر هذا الأسلوب لتقديم المفعول و نحوه على الفعل (المسند) بأنه لرد الخطأ في التعيين كقولك: زيدا عرفت لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا وأنه غير زيد ، و أصاب في الأول دون الثاني ، تقول لتأكيد و تقريبه "زيدا عرفت لا غيره" و لذلك لا يصح أن يقال: ما زيدا ضربت و لا أحدا من الناس . لتناقض دلالتها الأولى و الثاني ، ذلك أن المعنى يكون في الجملة الأولى على أن هناك ضربا ، فإن قلت: " و لا أحدا من الناس " تتناقض الغرضان ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده كقولك: ما زيدا ضربت و لكن أكرمته لأنّ مبنى الكلام ليس على أن الخطأ في الضرب فترده إلى الصواب في الاكرام و إنّما هو على الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيدا فردّه إلى الصواب أن تقول: و لكن عمرا"¹.

¹ - الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 69.70.

3. الفصل و الوصل:

و عرف الفصل بأنه الاستغناء عن عطف الجمل بعضها على بعض برابط¹ و إنّما يتحقق ذلك عندما يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها² ، كما يعرف أيضا بأنه الوقوف عند نهاية كل عنصر حتى يشعر السامع بانتهائه و يتهياً الخطيب لعنصر ثاني³ و للفصل مواضع حدّها القدماء من البلاغيين ، فقد عدّها عبد القاهر الجرجاني ثلاثة مواضع: الاتصال إلى الغاية ، و الانفصال إلى الغاية ، والاستئناف⁴، أمّا الوصل فهو عطف بعض الجمل على بعض⁵ ، و هو أيضا ربط معنى بمعنى حقيقي أو مجازي بأداة لغرض بلاغي⁶، و ذلك بواسطة أداة العطف التي تمثل واحة من أبرز أدوات الربط على مستوى الجملة.

و الفصل والوصل مصطلحان بلاغيان يقابلان ما يعرف في الدرس النحوي بالعطف و تركه، فالوصل هو عطف جملة على أخرى بمعنى مشاركة الثانية للأولى الوظيفة و له أدواته الخاصة كما هو معروف و أشهرها "الواو" إذ تعتبر أم الباب و الفصل أن يترك العطف.

¹ - صفة الحسن بن القاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق د. فخر الدين قباوة محمد نديم فاضل ، ط1، دار

الكتب العلمية ، لبنان

² - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

³ - شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسيل

⁴ - أرسطو الخطابة .

⁵ - الإيضاح، 151.

⁶ - بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل، 263.

و عنصر التوكيد الذي اعتنى به البلاغيون في هذا الباب هو العطف ، لكمال الاتصال و إذا يكون لثلاثة أمور أولها: أن تكون الثانية مؤكدة للأولي و المقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز و الغلط و هو قسمان¹:

الأول: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى.

الثاني: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعة في اتخاذ المعنى².

كما يجدر بنا في هذا المقام أن نقف عند تحليل دقيق قدمه عبد القاهر الجرجاني أعطى من خلاله عدّة أمثلة من القرآن الكريم ، توضّح علاقة الجملة المفصولة بسابقتها و توكيدها و كلاهما يمس الجمل التي تفصل لوقوعها موقع التأكيد لما قبلها و أورد لنا مثلاً دقيقاً و هو قوله تعالى: " مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) يوسف الآية 31 .

إذ تظهر فيه هذه العلاقة من ثلاث أوجه:

وجهان شبيهان بالتأكيد و وجه شبيه بالصفة. فقله: "إن هذا إلاً ملك كريم" شبيه

بالتوكيد من وجهين³.

¹ - الإيضاح في علوم البلاغة ، 89-92/91.

² - دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم (عائشة عبيزة) رسالة دكتوراه

³ - الإيضاح في علوم البلاغة ن ص 176.

أحدهما: أنه إذ كان ملكا لم يكن بشرا، فكان إثبات كونه ملكا تحقيقا و توكيدا لنفي كونه بشرا.

و الثاني: إذا قيل في العرف و العادة "ما هذا بشرا" و كان الحال حال تعظيم و تعجب من محاسن إنسان ما، فهم من ذلك أن الغرض من هذا الكلام أن يقال "أنه ملك" و إن كان هذا كذلك، لم يكن ذكر ذلك اللفظ و التصريح به إلا تأكيداً للأول.

4. الإطناب و التكرار و التطويل:

التكرار مصدر الفعل كرّر أو كرّ الشيء ،و كرّره . أعاده مرّة بعد أخرى، إذ الكرّة: المرّة و يقال كرّرت عليه الحديث و كرّرتّه إذ رددته عليه... قال أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو : ما بين تَفْعَال و تَفْعَال ؟ فيقال: تَفْعَال الاسم و تَفْعَال بالفتح مصدر¹ .

و قد أورد الزمخشري لهذه الكلمة مجموعة من المعاني المرتبطة بها ، استقاها من كلام العرب و هي تدور كلها حول معني واحد عام مشترك ، هو الإعادة و التريد و من خلال ذلك:" ناقة مكررة ، و هي التي تحلب في اليوم مرتين ..."²

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار صادر، ط1، 1947، بيروت، لبنان، ص390.

² - الزمخشري ، أساس البلاغة ، المكتبة العصرية ، ط1 2003 ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 726.

أمّا من حيث الاصطلاح فنجد إن الأثير قد عرفه بقوله: " هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا"¹ و نجد القاضي الجرجاني عرفه في العريفات بقوله: " عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى"³

غير أن السيوطي ربط التكرار بمحاسن الفصاحة كونه مرتبط بالأسلوب و هذا ما ورد في كتاب " الإتيقان " و ذلك بقوله: " هو أبلغ من التوكيد و هو من محاسن الفصاحة"².

و أما علي صدر الدين فقال: "فهو تكرار الكلمة أو اللفظ أكثر من مرة في سياق واحد إما للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو للتلذذ بذكر المكرر"³.
و خلاصة القول أن التكرار بالمفهوم الاصطلاحي قد ولج في دائرة التأكيد و ذلك من حيث المعنى البلاغي كونه فائدة للكلام فقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر.

فهو إيراد المعنى مردداً و منه ما يأتي لفائدة و منه ما يأتي لغير فائدة فأما الذي يأتي لفائدة فإنّه جزء من " الإطناب " و هو أخصّ منه فيقال حينئذ كل تكرير يأتي لفائدة و هو إطناب و العكس غير صحيح و اما الذي من التكرار لغير فائدة فإنّه جزء من التطويل و هو أخص منه .

¹ - ابن الأثير ، المثل السائر ن تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، د ط 1944، لبنان ، ج2، ص143.

² - السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ، ص194.

³ - أنوار الربيع في أنوار البديع ، ص345.

و يقال: "إنّ كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل و ليس كلّ تطويل تكرير يأتي لغير

فائدة¹.

أما الإطناب فيقال:

"أطنب في الشيء إذ بالغ ،كأنّه ثبت عليه إرادة للمبالغة فيه و يقولون طنب

الفرس ، و ذلك لطول المتن و قوته ، فهو كالطنب الذي يمدّ ثم يثبت به الشيء² .

كما نجد له تعريفات قد وردت في لسان العرب: "الإطناب هو البلاغة في المنطق،

و الوصف مدحًا كان أو دمعًا... و المطنب المداح لكل أحد³.

و أما في مجال البلاغة فنجد القزويني يعرفه بقوله: "الإيضاح بعد الإبهام لييري

المعني في صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن ، فإن المعنى ألقى

على سبيل الإجمال و الإبهام تشوقت نفس السّامع إلى معرفته على سبيل التفضيل

و الإيضاح فنتوجه على ما يرد بعد ذلك فإذا ألقى كذلك تكمن فيها فضل تمكن و كان

شعورها أتم⁴.

¹ - معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، ص410.

² - ابن فارس مقاييس اللغة (مادة طنب) ج3، تح: عبد السلام هارون ، 426.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 198.

⁴ - القزويني ، الإيضاح ، في علوم البلاغة ، ط3، ص113.

ولإطناب هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة ، و أن يخير المطلوب
بمعنى المعشوق بكلام طويل لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة ، فإن كثرة الكلام
توجب كثرة النظر ، و قيل: الإطناب: " أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد"¹.

و أما التطويل: فهو عكس الإطناب أي هو الكلام الذي تزداد فيه الألفاظ بغير
فائدة و دون حاجة إليها و يسمى أيضا "حشوا" و هو نوعان :

- حشو يؤدي إلى فساد المعنى.

- و حشو لا يؤدي إلى إفساد المعنى².

5. القصر و الحصر:

القصر من الأساليب الإيجازية في اللغة ، فإذا قلت: ما الشاعر إلا البحتري فهذا
يعني ليس هناك شاعر غيره ، أي قصرت عليه صفة الشاعرية فأصبح الكلام موجزا،
كما يعد من أساليب التوكيد ، و له طرق و أقسام مختلفة ذكرتها كتب البلاغة

فقد جاء في لسان العرب القصر و القصر في كل شيء خلاف الطول و هما

لغتان³ و منه قوله تعالى: " حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ"⁴ أي: محبوسات على أزواجهن .

¹ - الإيضاح في علوم البلاغة ، 89.

² - محمود درويش، أساليب التكرار في ديوان " سرحان يشرق القهوة في الكافيتريا"، من ماجستير ، عبد القادر علي رزقي .

³ - ابن منظور، لسان العرب، م (قصر).

⁴ - سورة الرحمن، (72).

و قال الزمخشري : (مقصورات) قصرت في خدورهن يقال امرأة قصيرة و قصورة
و مقصورة ، مخدورة¹.

و ذكر في أساس البلاغة في " باب قصر " قصرته ، حبسته ، و قصرت نفسي على
هذا الأمر إذ لم تطمح إلى غيره ، و قصرت طرفي لم ارفعه إلى ما لا ينبغي² ، وفي
"مختار الصحاح" قصر الشيء أي حبسه و لم يتجاوز إلى غيره³.

و في اصطلاح البلاغيين القصر هو :

تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بأخر بطرق مخصوصه⁴.

و المقصود بالشيء الأول هو المقصور و الثاني هو المقصور عليه، و الطريق
المخصوصة هي أدوات القصر، والمقصود بتخصيص الشيء إثباته له و نفيه عن غيره⁵.

و القصر مصطلح بلاغي يقصد به تخصيص شيء بشيء وحصره فيه والشيئية
هنا طرفا القصر " المقصور، و المقصور عليه "كقولنا في القصر بين المبتدأ و الخبر نحو
قولك: "إنما زيد قائم" و بين الفعل و الفاعل نحو: "ما ضربت إلاّ زيدا"

¹ - الزمخشري ، الكشف، 50/4.

² - الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص507، دار صادر للطباعة بيروت ، 465.

³ - الإمام الرازي مختار الصحاح ، م (قصر).

⁴ - د. عبد العزيز عفيف ، علم المعاني ، ص 109.

⁵ - المرجع، نفسه، ص 25.

و القصر الحقيقي تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة ، و في نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلا ، والقصر الإضافي هو الإضافة إلى شيء آخر بآلاً يتجاوزه إلى ذلك الشيء، و إن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة¹.

كما لم يختلف البلاغيون حول إفادة القصر للتوكيد، فالتأكيد سمة أساسية في أسلوب القصر ففي قول تعالى : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ"² تأكيدا لا نلمسه في قولنا : محمد رسول³.

و دلالة القصر على التوكيد يشرحها البلاغيون انطلاقا من قصر الصفة على الموصوف أو الخبر على المخبر عنه و دفع توهم مشاركة غيره له في هذه الصفة ، و جاء في "المفتاح" شرح معني القصر في الصفة عند السكاكي: "و حاصل معني القصر راجع على تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان." كقولك: "زيد شاعر لا منجم" أو قولك: "زيد قائم لا قاعد".

و يسمى هذا "قصر أفراد" بمعنى يزيل شركة الثاني أو بوصف مكان آخر كقولك لمن يعتقد منجما لا شاعرا: "ما زيد منجم بل شاعر" أو "زيدا شاعر لا منجم" يسمى هذا "قصر قلب" بمعنى ان المتكلم يقلب فيه حكم السامع⁴.

¹ - التعريفات ، ص 225.

² - سورة آل عمران الآية 144.

³ - مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية) مج 19، العدد الثاني ن ص 973-390 يونيو 2011.

⁴ - مفتاح العلوم، ص 400.

و يذهب ابن جني إلى إطلاق مصطلح التوكيد و التثبيت للاسم أو الخبر الواقع بعد (إلا) بدل الاصطلاح المعروف (الاختصاص أو القصر) : و ذلك أن (إلا) إذا باشرت شيئاً بعدها فإنما جيء بها لتثبيته و توكيد معناه ، و ذلك قولك: 'ما كان زيداً قائماً' فزيد غير محتاج إلى تثبيته و إنما يثبت له القيام دون غيره ، فإذا قلت: "ما كان قائماً إلا زيد" فهناك قيام لا محالة فإنما أنت ناف أن يكون صاحبه غير زيد¹ .

و ذلك لا لشيء إلا لأن القصر لا يعدو أن يكون تأكيداً للكلام و مبالغة في توضيح الأحكام وتثبيتها في الأذهان² .

6. الاعتراض :

لقد اهتم البلاغيون بالاعتراض في كتبهم البلاغية اهتماماً بالغاً، كل حسب وجهته البلاغية لمفهوم الاعتراض ، و لذلك فقد تعددت مصطلحاته و مفاهيمه عندهم و تنوعت دلالاته التي سيق من أجلها .

و الأصل في بناء الكلام أن يؤتى فيه ببعض الأجزاء التي لا يتم فهم بعضها إلا بذكر الآخر كأن يكون العنصران متلازمين وظيفياً ك (الفعل و الفاعل) و (المبتدأ و الخبر) و (الصفة و الموصوف) أو متلازمين معنوياً و وظيفياً ك (الموصول و صلته) و (الشرط و جوابه) و (القسم و جوابه)

¹ - ابن جني ، المتحجب في تبين وجوب شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، تح : محمد عبد القاهر غطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 ، 158/2-159.

² - إبراهيم أنيس ، من أسرار البلاغية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط7 ، 1985 ، ص19.

و قد اصطلح على ما يأتي بين المتلازمين بالاعتراض و هو ما حدّه البلاغيين بقولهم : " هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلاميين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب بنكته سوى ما ذكر في تعريف التكميل¹.

7. تأكيد المدح بما يشبه الذم و تأكيد الذم بما يشابه المدح:

* تأكيد المدح بما يشبه الذم : و هو أن توحى العبارة الثانية بالمدح و ماهي منه² و يفيد هذا الأسلوب التأكيد وذلك أنّه كدعوى الشيء ببينة لأنك قد علقت نقيض المطلوب ، و هو إثبات شيء من العيب بالمحال و المعلق بالمحال محال فعدم العيب ثابت وهو ضربان³:

إحدهما: و هو أ فضلهما أن يستثني من صفة ذم عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، كقول النابغة الذبياني :

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم * * * بهن فلول من قرع الكتائب⁴ .

الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح و يعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقول النبي

صلى الله عليه و سلم: " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"

¹ - الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 118.

² - احمد مطلوب / معجم المصطلحات البلاغية و تطورها مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط2، 1993، ص241.

³ - سعد الدين التفتازاني ، المطول ، تج ك عبد الحميد هنداي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2، 2007.

⁴ - خزنة الأدب و غاية الأرب الحمودي ، ت عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1987، 1/244.

الله عليه و سلم: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"¹.

تأكيد الذم بما يشبه المدح:

و عكس الأول و فيه ضربان كذلك²:

أحدهما: ان يستثني من صفة مدح منفية عن الشيء صفة الذم له بتقدير دخولها فيه ، اي دخول صفة الذم في صفة المدح كقولك: "فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء من احسن إليه".

والثاني : ان يثبت للشيء صفة الذم و يعقب بأداة استثناء يليها صفة ذم أخرى له كقولك: "فلان فاسق إلا أنه جاهل".

8. التتميم :

التتميم هو: "أن يؤتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكته كالمبالغة"³ و قيل هو: "أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنة إلاّ أوردته و أتى به إما مبالغة أو احتياطاً"⁴ و قيل هو الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه أو مبالغته مع أن لفظه يوهم بأنه تام ، و مجيئه على وجهين:

¹ - النهاية في غريب الإثم الجزري ، ت طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، الكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، 171/1.

² - المطول ، ص 676.

³ - حاشية الدسوقي السوقي ، ضمن شروح التلخيص ، ج3/235.

⁴ - ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ج2/50-51.

للمبالغة ، والاحتياط ، و يجيء في المقاطع كما يجيء في الحشو¹ ، ومن نماذج التمثيل له قول الشاعر ابن نباتة السعدي:

لم يبق جودك لي شيئاً أوْملهُ * * * تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل².

فإنّه استوفي في ما أراده من المدح في الشطر الأول ثم احتاج إلى تتميم البيت و أراد إتمامه بتكرار المعني المتقدم فيه استحساناً و توكيداً.

9. التذييل:

التذييل و هو: " تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتوكيد "³ و عرّفه "الزركشي" بقوله: " التذييل مصدر "ذيل" للمبالغة و هي لغة جعل الشيء ذيلاً للآخر و اصطلاحاً أن يؤتي بعد تمام الكلام بكلام مستقل في المعني الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول ، أو مفهومه ، و يكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم و يكمل عند من فهمه "⁴.

و هو ضربين :

¹ - خزنة الأدب ، 56/9.

² - الفلّشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تح: يوسف علي طويل ، دار الفكر ، دمشق ، 1987 ، ط1 ، 341/2.

³ - القزويني ، الإيضاح ، ج3/205.

⁴ - الزركشي ، البرهان ، ج3/86.

* ضرب جار مجرى المثل:

و ذلك إذا كانت جملة التذييل مستقلة بمعناها، مستغنية عما قبلها بحيث تتضمن حكما كليا فتجري مجرى المثل في الاستقلال وكثرة الاستعمال.

و هناك من العلماء من وجه دلالة الاعتراض سياقاً في القرآن الكريم إلى معنى "التوكيد" و هو ما جاء في كلام " الزمخشري " أثناء حديثه عن فصل بعض المعداد و بعضه رغم أن الأصل الموالاة بينهما، و ذلك في قوله تعالى: " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ¹ " الأنعام.

فيرى ذلك أن الفاصل بينهما اعتراض غير أجنبي من المعداد و ذلك أن الله عزّ و جلّ منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم و إباحتها لهم ، فعترض بالاحتجاج على من حرّمها ، و الاحتجاج على حرّمها تأكيد و تسديد للتحليل و الاعتراضات في الكلام الاتساق إلا للتوكيد ².

* وضرب غير جار مجرى المثل :

وذلك إذا كانت غير مستقلة بمعناها ، فلا يفهم الغرض منها إلا بمعونة ما قبلها لتأكيد مفهومها .

¹ - الأنعام، الآية 144.

² - الكشف ، 92/2.

10. التريد :

التريد في البلاغة هو: أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه¹ ، و قد أسماه بعضهم "التعطف " و قد سماه "أبو الهلال العسكري" بالمجازة و هي عنده تردد لفظتين في البيت و وقوع كل واحدة منهما بجانب الأخرى أو قريباً منها من غير أن تكون إحداها لغواً لا يحتاج إليها². و التمثيل له قول الشاعر زهير:

من يلق يوما على علاته هرما * * * يلق السماحة منه و الندى خلقا³.

11. المجاز:

و المجاز مشتق من قولهم جزت الطريق و جاز الموضع جواز و مجاز أو جاز به و جاوزه جوازا و أجاز غيره و جازه سار فيه و سلكه ... و المجاز و المجازة الموضع⁴ و أول ما يثير انتباهنا ، هو ما صرح به "ابن جنّي" في قوله: " فوقع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها و اشتماله عليها حتّى إن أهل العربية أفردوا له بابا لعنايتهم به و كونه مما لا يضاع و لا يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى

¹ - أبو القاسم الحسن بن بشير ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري الامدى ، تح: السيد احمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1972.

² - ابن أبي الحدي ، الفلك الدائر على المثل السائر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، الرياض ، ط2، 1984.

³ - زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، تح: كريم البستاني ، دار صادر بيروت ، دون ط ، ص 49.

⁴ - ابن منظور لسان العرب، 326/5 (مادة جوز).

أهمهم باب ، كالصفة و العطف والإضافة و النداء و الندبة و القسم و الجزاء و نحو ذلك¹ .

و المجاز حسبما يذكره البلاغيون هو التجوز باللفظ من استعماله في ما وضع له في أصل اللغة إلى غيره لمناسبة بينهما²، و هو مصطلح يقابل "الحقيقة" في تعريفه وإن كانت الحقيقة هي ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، فإن المجاز هو ما كان بضد ذلك ، و إنما يقع المجاز و يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة و هي : الاتساع و التوكيد و التشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة³.

يشرح علماء البلاغة هذه الدلالة العامة للمجاز في مثل قوله تعالى: "وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا"⁴ فيعدونه مجازا و فيه الثلاثة المذكورة⁵.

الاتساع: فهو أنه زاد في أسماء الجهات و المحال اسما وهو "الرحمة".

التشبيه: فإنه شبه الرحمة و إن لم يصح دخولها بما يصح دخوله.

أما التوكيد: فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة، تعاليا بالمخبر عنه و تفخيما له إذا صير بمنزلة ما يشاهد و يعاين.

¹ - ابن جني الخصائص، 451/2.

² - جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي ، ينظر فايز الداية ، دار المعاصر ، لبنان ، ط2، 1990.

³ - ابن جني الخصائص ، 442/2.

⁴ - الأنبياء ، الآية 75.

⁵ - المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، 352/1.

فوقوع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها و اشتماله عليها إن حتّى
إنّ أهل العربية أفردوا له بابا لعنايتهم به¹.

12. التعريف:

و المعروف بلام العهد بمنزلة تكرار العلم² ، قد يفيد قصر الجنس على شيء
تحقيقا نحو: "زيد الأمير"³، و إذا كان الغالب في الخبر أن يكون نكرة لإتمام الفائدة
فإن مجيئه بزيادة في المبني يكون لتقريره و تأكيده ، و لذلك فسر خروجه عن الأصل
من ناحية تعينه لا يكون إلّا لغرض بلاغي هو التأكيد و الحصر مثل: "زيد هو الشاعر"⁴.

13. التوكيد بالجملة الإسمية عند البلاغيين:

من سمات الكلام البليغ موافقا لمقتضي الحال، و لكي يكون كذلك و يؤثر في
النفس و العقل، فإن هناك اعتبارات ثلاثة ينبغي للمتكلم أن يراعيها في كلامه و يتخير
بسببها الأسلوب الملائم و هي : المتكلم و المخاطب و الموضوع أو الموقف⁵ و بناء على
هذا فإن للكلام ثلاث أنواع كما سماها المتأخرون (اضرب الخبر) مراعاة الحال
المخاطب. ففي الحالة الأولى يقدم للمخاطب خبراً غُفلاً عن التوكيد و يسمى (خبرا
ابتدائياً) و في الحالة الثاني يستحسن توكيد الخبر لإزالة شكّه و ترده ، و هذا هو

¹ - الخصائص، 451/2..

² - الكليات ، ص 1065.

³ - عروس ، الإفراج في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي ، تج: إبراهيم خليل ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب
العلمية ، ط1، 2001، 61/1.

⁴ - المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها ، 350/364/1.

⁵ - مجلة جامعة الإمام (العدد السادس)، ص 8-9.

(الخبر الطلبي) أمّا في الحالة الثالثة: فيجب توكيد الخبر له بعدد من المؤكدات تختلف قوة وضعفها حسب درجة إنكاره و يسمى الخبر في هذه الحالة (خبراً إنكارياً)¹ .

و توكيد الخبر في هذه الأحوال هو من قبيل توكيد الحكم أو الإسناد و مؤكّدات الحكم كثيرة مبسّطة في كتب البلاغة² و منها إسمية الجملة .

و قد اختلف البلاغيون حول إفادة الجملة الإسمية التوكيد فمنهم من عدّها مؤكّدة ، ومنهم من نفى ذلك .

و قد استند المثبتون لتوكيد الجملة الإسمية إلى دلالة الاسم على الثبوت بخلاف الفعل الذي يفيد التجديد و الحدوث، قال عبد القاهر الجرجاني مبيناً دلّلتيهما " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء ، من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء و أمّا الفعل فموضوعه ، على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء"³ .

و قد خصّص البلاغيين دلالة الإسمية على الثبوت بالجملة التي في خبرها اسم و نجد منهم " السكاكي و الكاشي " .

¹ - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، 71/69/1 .

² - حاشية الدسوقي علي، شرح السعد، 204/1 .

³ - دلائل لإعجاز ، 182 .

و ذهب بعض البلاغيين إلى أن خلو الجملة من الدلالة على الزمان¹، سبب لكون الجملة الإسمية مؤكدة ، و من الباحثين من عزا السبب في ذلك إلى اسمية المصدر فإنه أصل المشتقات، قال " الجويني " رحمة الله " الجملة الإسمية بإزاء الجملة الفعلية ،حكمها اشدّ توكيداً و ممّا يثبت أهمية الجملة الإسمية أن النحاة قالو: إن المصدر هو الأصل الذي يشتق منه الفعل² ، غير ما ذهب إليه جمهور البلاغيين من أن الجملة الإسمية مؤكدة لكونها تفيد الثبات، والدوام أرجح ، هذا و دلالتها على الثبوت إنّما هو بأصلها الوضعي ،أمّا إفادتها الدوام فيكون بمعرفة القرائن ، و هذه الإفادة هي التي تعطي للجملة الإسمية قيمتها البلاغية لا دلالتها الوضعية³ .

و قد كان أيضا لسبويه إشارة أخرى يستشف منها دلالة الجملة الإسمية على التوكيد ،حين قال: " و قد تقول أيضا(رويدك) لمن لا يخاف أن يلتبس بسواه توكيدا ،كما تقول للمقبل عليك المنصت لك : (أنت تفعل ذلك يا فلان) توكيداً⁴ .

¹ - الأطول ، 240/1 .

² - البلاغة و النقد ، 196 .

³ - بغية الإيضاح ، 139/1 .

⁴ - الكتاب ، 244/1 .

و من هذه الإشارات استتبط البلاغيون - فيم بعد- دلالة الجملة الإسمية على التوكيد ، كما بنو على كلام سبويه في تقديم الاسم على الفعل مباحثهم في تقديم الفاعل المعنوي و أثره تقوية الحكم و تقريره¹.

وبعد أن أشرت إلى ما انفرد به البلاغيون من أساليب التوكيد ، أشير أيضا إلى بعض الأساليب الأخرى التي عدّها البلاغيون من أساليب التوكيد ، و هي أساليب المبالغة و من بين هذه الأساليب : الإخبار بالمضارع عن الماضي و ذلك لقصد تبين هيئة الفعل و استحضار صورته ، ليكون السامع كأنه يشاهدها و استحضار الصورة هكذا للسامع ، ممّا يجعلها واضحة لمفهومه و راسخة في ذهنه، و هذا هو ما يفعله أسلوب التوكيد لدى السّامع ، فلهذا كان الأسلوب من أساليب التوكيد.

فقد تناول البلاغيون هذا الأسلوب على أنه أسلوب من أساليب الالتفات و المبالغة أريد به التوكيد ، و طريق التوكيد في مثل هذه الصورة استحضار الصورة لدى السامع و جعله يتعاشي معها و يحسّ بها ، و هذا أقوى و أكد من التعبير بالماضي.

و من الأساليب التي عدّها البلاغيون للتوكيد ، تعليق حدوث شيء على حصول أمر مستحيل ، و ذلك لقصد إبراز الكلام في صورة المستحيل و هذا الأسلوب و إن اختص به البلاغيون ، فإن الأفكار و المعاني العالمية دائما تتفق عقلا ، و لهذا نرى النحاة عند إرادة معنى التوكيد في مثل هذه الأساليب ، يضعون الألفاظ لهذا الأسلوب مما يتفق مع

¹- د. بلقيس بنت محمد الطيب إدريس ، التوكيد بالجملة (دراسة بلاغية) ، كلية التربية للبناء، المدينة المنورة .

المعني المراد، و هو توكيد عدم حدوث أمر ما¹ و هكذا نجد أهل المعاني و النحاة يتلاقون في معظم الأساليب، إلا أن البلاغيون اختلفوا قليلا عنهم في بعض الأمور و هذا الآن البلاغيون توغّلوا و خاضوا في المعاني أكثر من النحاة.

¹ - محمد أبو الفتاح ، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، ص، 276-277.